مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

2026/2/21

التلوث في بغداد

تعثر السياسات وجشع الاستثمار

ديار صالح

تحليلات

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

التلوث في بغداد: تعثر السياسات وجشع الاستثمار

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط /قسم الأبحاث / الدراسات الاجتماعية

الاصدار / تحليلات

الموضوع / البيئة والطاقة والمناخ، الاقتصاد والتنمية، الحوكمة والدستور والقانون

دياري صالح / باحث

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاص، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابها.

حقوق النشر محفوظة © 2026

---

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
Since 2014

النقاط الأساسية

- شهد هواء العاصمة بغداد مؤخراً حالة تلوث خطيرة، لذلك صُنّفت على أنها ثاني أكبر مدينة ملوثة في العالم، فقد وصل حجم بعض العناصر الملوّثة إلى تسعة أضعاف المعدلات التي أقرتها منظمة الصحة العالمية كحدود آمنة للعلاقة بين الإنسان والبيئة.
- تؤكد الجهات الحكومية أن مسببات التلوث تتركز في مناطق محددة مثل معسكر الرشيد ومنطقة النهروان. فبالإضافة إلى انتشار المعامل التي لا تلتزم بالمعايير البيئية، تحولت هذه الأجزاء إلى مكب كبير للنفايات التي تولدها العاصمة، والتي تصل إلى قرابة 10 آلاف طن يومياً.
- حتى الآن، يبدو أن الحكومات العراقية عاجزة عن إيجاد حلول واقعية لمشكلة تلوث الهواء وتدهور مجمل المنظومة البيئية في العراق، لاسيما في العاصمة. هنا، لا يُعد اللجوء إلى عسكرة الحلول البيئية حلاً مناسباً في وسط تسوده الرشوة والعلاقات الزبائنية.
- يؤمن الناس الذين يعيشون في جزء كبير من هذه المناطق بأن مصيرهم مهدد بالمشاريع الاستثمارية التي تقف وراءها، في بعض الأحيان، قوى مؤثرة لا تشكل البيئة شيئاً في قاموس اهتماماتها.

على الرغم من خطورة الوضع البيئي في العاصمة، فإن الحكومة لا تزال عاجزة عن فرض الحلول، كما أنها لا تزال تفكر بطريقة تقليدية تقوم على مبدأ «عسكرة الرقابة البيئية» في وضع يعج بالانفلات الذي ينعكس، في النهاية، في مظاهر عديدة، من بينها عدم تراجع الأنشطة التي تقف وراء عدم صلاحية هواء العاصمة للعيش الآمن، مما يدق ناقوس الخطر بشأن مدى فاعلية الخطط والإجراءات التي يُفترض بها معالجة هذه المشكلة، لا سيما أنها بدأت تتزامن مع توسع الاستثمارات التي لا تلتفت عادةً إلى مصير البيئة ومشكلاتها في الحالة العراقية. تتناول هذه الورقة ظاهرة تلوث الهواء التي شهدتها مؤخراً العاصمة «بغداد»، وما أثارته من تداعيات مهمة على صعيد التعاطي الحكومي والمجتمعي مع هذا الحدث الخطير.

العاصمة تختنق

سجّلت العاصمة العراقية بغداد، بتاريخ 25 نوفمبر/تشرين الثاني 2025[1] إحدى الظواهر البيئية الحرِجة؛ إذ استيقظ السكان على مدينة يغلّفها هواءٌ ملوّث ذو رائحة كريهة، ما أدى إلى طمس الملامح العمرانية، إذ اختفى جزءٌ كبيرٌ منها خلف سحابةٍ ضبخانية.[2] وأكّدت إحدى المنصّات السويسرية المعنيّة بمراقبة جودة

1- اللون البنفسجي.. جودة الهواء يؤشر ترديا ملحوظا وارتفاع مستوى التلوث في بغداد، على الرابط: https://is.gd/ilmiWi

2- «الشبورة» تعددت الطرق والقتل واحد، على الرابط: https://is.gd/0ONFTS

الهواء حول العالم أن بغداد سجّلت آنذاك 380 نقطة على مقياس التلوّث، ولذلك صُنّفت ضمن النطاقات البنفسجية عالية الخطورة. ووفقًا لبيانات المنصّة، فإن ذلك يوضح مدى خطورة الوضع البيئي، إذ ذكرت: «بلغ متوسط تركيز الجسيمات الدقيقة المعروفة باسم PM2.5 (وهي جسيمات صغيرة قادرة على اختراق الرئتين ودخول مجرى الدم) 40.5 ميكروغرام لكل متر مكعب، وهو أعلى من المعدّل الطبيعي بمقدار تسع مرات». [3]

لقد ترك هذا التدهور السريع في جودة الهواء أثره الصحي على ملايين الناس الذين يعيشون في هذا النطاق المتهرئ بيئياً. فعلى الرغم من عدم وجود إحصائيات رسمية دقيقة تُبيّن هذه العلاقة، وهو ما يهيئ للحكومة إمكانية التهرب من فرضية الربط بين تلوث الهواء والحالات التي يمكن أن تشهدها المستشفيات، فإن هناك دلائل مادية أخرى ملموسة في الحياة اليومية للمدينة، وتحديداً في مركزها. [4]

فقد عبر كثير من المواطنين عن شعورهم [5] بوجود حالات من ضيق التنفس وأعراض أخرى لم يكونوا على تماس مباشر معها قبل هذا الحدث.

3- Iraq Watchdog Warns of "Catastrophic" Pollution as Baghdad Air Quality Plunges, https://is.gd/IK1VaL

4- Sulfur pollution in Baghdad hospitalizes hundreds: Officials, https://is.gd/7Y2Doc

5- Iraq Watchdog Warns of "Catastrophic" Pollution as Baghdad Air Quality Plunges, https://is.gd/IK1VaL

واستخدم عدد منهم منصات التواصل الاجتماعي للتعبير عن هذا الضرر الصحي، لاسيما وأن تلك الحالة شكلت محوراً لاحاديث ونقاشات مهمة بين طيف عراقي واسع من المهتمين والجمهور العام، وتم فيه تبادل المعلومات والتجارب الشخصية وأيضاً الصور لتوثيق الحدث وتداعياته، التي شكلت بالنهاية صدمة كبيرة للمهتمين بالشؤون البيئية، خاصة بعد أن صنفت بغداد بالمرتبة الثانية لأكثر المدن تلوثاً حول العالم[6].

قد يجادل البعض بالقول إن هذه البيانات، وما يتعلق بها من تصورات حول الأضرار، إنما تعبّر عن حالة مؤقتة يكتنفها التضخيم لأغراض سياسية تهدف إلى تشويه مكانة العاصمة والأداء الحكومي على حد سواء. من الناحية النظرية، ساهمت الحالة الطقسية المؤقتة في إظهار المشكلة بصورتها الواقعية، لاسيما أن الفترات التي تشهد صعود ظاهرة سكون الهواء «الانقلاب الحراري» تحول دون انتشار الملوثات وتشتتها مع حركة الرياح إلى أماكن أخرى.[7]

بالمقابل، فإن ذلك لا يعني مطلقاً أن المشكلة غير موجودة، وأن التعويل على عودة الطقس إلى حالته الاعتيادية يمكن أن يوفر حلاً تجود به الطبيعة لهذه الأزمة. من جانب آخر، فإن المؤشرات

6- Air quality: Baghdad ranks second most polluted city globally, https://is.gd/iSkUaK
7- البيئة: انقلاب حراري وراء تدهور نوعية الهواء في بغداد، على الرابط: https://is.gd/n28Ak1

الـتي تضـع «وقتيـاً» العاصمـة بغـداد فـي مرتبـة متقدمـة [8] عـلى مقيـاس التلـوث مقارنـة بعواصـم أخـرى ذات كثافـة سـكانية عاليـة مثـل نيودلهـي، هـي فعليـاً تصنيفـات قابلـة للتغيـر المسـتمر، لكونهـا تتبـع المسـتجدات الـتي ترصدهـا المحطـات المخصصـة لهـذا الغـرض، وهـو مـا لا يدحـض حقيقـة التصنيـف الـذي يضـع بغـداد (فـي أحـسن الأحـوال) ضمـن المـدن العشريـن الأولى الأكـثر تلوثـاً عـلى خريطـة العالـم. [9] فقـد سـجلت الغـازات المسـؤولة عـن التلـوث في العاصمـة زيـادة واضحـة فـي السـنوات الأخـيرة. [10]

خريطة التلوث في بغداد

تظهـر الخرائـط [11] أن هنـاك أربعـة أقاليم أساسـية تتجمع فيها مسـببات التلـوث المتعـددة. لذلـك تعتمـد إحـدى المنصـات السـويسرية، الخاصـة بقيـاس جـودة الهـواء، عـلى توزيـع محطاتهـا لقيـاس انبعاثـات الغازات الضـارة فـي مناطـق أساسـية [12] هـي» فنـدق الرشـيد، ضفـاف نهـر دجلـة، حـي الخضراء-الشرطـة الثانيـة، المنطقـة الخـضراء، زيونـة « لتتمكـن بذلـك مـن تحديـد درجـة تلـوث الهـواء في نطـاق [13] يشـمل

8- سـحب دخانيـة تخيّـم عـلى بغـداد... ومرصـد بيـئي: «موجـات أخطـر» مقبلة، عـلى الرابـط: https://is.gd/NM57tN

9- Iraq: Officials vow action as Baghdad ranked among most polluted cities on Earth, https://is.gd/2GfcKa

10- Assessment of Some Air Pollutants in Baghdad City Based on Sentinel 5 TROPMI in Three Different Periods, https://is.gd/ZslGgt

11- Air Pollution in Baghdad: Alarming Data Threatening Our Future, https://is.gd/MC-7Gy7

12- Air quality in Baghdad, https://is.gd/CLatYi

13- Air quality near Snono Systems, Baghdad, https://is.gd/LBzwpI

عبر هذه المحطات كل الحدود الإدارية لمحافظة بغداد. وعلى الرغم من تعدد العوامل التي تساهم في تشكيل ظاهرة تلوث الهواء (كثافة النقل، المولدات الكهربائية، مصفى الدورة، تراجع الغطاء الأخضر)[14]، فإن الحكومة وكثيراً من الأوساط العراقية تحدد فقط منطقتين في نطاق المسؤولية.[15]

تعد منطقة النهروان[16] واحدة من أهم نطاقات صناعة التلوث[17] في العاصمة، فهي لوحدها يتركز فيها أكثر من «200 معمل للطابوق و22 معمل للإسفلت»، وهي في الغالب تعمل دون الالتزام بالضوابط البيئية، لذلك تصل نسبة[18] مساهمتها في صناعة التلوث إلى 55 %. في حين توجد إشارات أخرى مهمة لوجود معامل طابوق غير مرخصة[19]، وأن مجمل هذه المواقع يعمل فيها أكثر من9 آلاف[20] عامل يومياً، حيث يوجد بينهم أعداد كبيرة

14- ينظر: مروة سالم محمد، التمثيل الكاتوغرافي لملوثات الهواء في مدينة بغداد باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، على الرابط: https://is.gd/INGy2h، 11,700g مولدة تخنق بغداد.. والحكومة تتحرك لإغلاق مواقع صهر المعادن، على الرابط: https://is.gd/t0wNDI، ومع التطمينات الحكومية.. ما هي أسباب استمرار التلوث في سماء العاصمة بغداد؟ على الرابط: https://is.gd/WcXQAh

15- مكتب الرشيد وطمر النهروان أبرز الأسباب.. اجتماع «طارئ» بشأن تلوّث هواء بغداد، على الرابط: https://is.gd/YjLFkS

16- البيئة: معامل طابوق النهروان من أبرز بؤر التلوث في بغداد، على الرابط: https://is.gd/GXeOJu

17- معلومة بيئية: تلوث هواء معامل الطابوق في بغداد، على الرابط: https://is.gd/Q4iZlb

18 تلوث الهواء في بغداد: بيانات مقلقة تهدد مستقبلنا، على الرابط: https://is.gd/DEJfep

19- عمليات بغداد تغلق 7 معامل طابوق مخالفة في النهروان، على الرابط: https://is.gd/ricZhO

20- معامل طابوق النهروان.. 9 آلاف يعملون لـ 12 ساعة يومياً، على الرابط: https://is.gd/yw85D8

مـن الفئـات الهشـة[21] «النسـاء والأطفـال صغـار الـسن»، وهـي ظاهـرة لفتـت أنظـار المهتمـين[22] لإبـراز حقيقـة التلـوث وظـروف العمـل الشـاقة هنـاك. ونظـراً لحاجـة السـوق والطلـب المتزايـد عـلى الطابـوق المنتـج في هـذه المعامل، فقد حاولـت وزارة البيئـة[23] -دون جـدوى- العمـل عـلى أقنـاع أصحـاب العلاقـة هنـاك بعـدم اسـتخدام النفـط الأسـود واسـتبداله بالغـاز، دون أن يكـون هنـاك اسـتجابة فعليـة بسـبب التكلفـة العاليـة الـتي تأتـي عـلى حسـاب الأربـاح الـتي يحققهـا أصحـاب المعامـل، ويحصـل ذلـك كلـه في ظـل عجـز وزارة النفـط والصناعـة عـن توفـير مسـتلزمات هـذا التحـول المهـم.

تمـارس البيئـة لعنتهـا[24] بحـق الفقـراء بطـرق يصعـب عـلى المـرء تخيلهـا فـي بلـد غـني مثـل العـراق. فقـد أجـبرت ظـروف الجفـاف العديـد مـن العوائـل المسـحوقة فـي مـدن الجنـوب عـلى الهجـرة نحـو العاصمـة، ولكنهـا هـذه المـرة كانـت أيضـاً ضحيـة لنـوع آخـر مـن قسـوة الظـروف البيئيـة، إذ اضطـرت -لعـدم امتلاكهـا المؤهـلات العلميـة والمهـارات المهنيـة- إلى السـكن في العشـوائيات، لاسـيما منهـا تلـك الـتي تقـع في معسـكر الرشـيد. حيث يصـل عـدد العوائـل[25] هنـاك إلى أكـثر مـن «800 عائلـة» تعيـش في مسـاحة تقـدر بأكـثر مـن

21- «مـوتٌ بطـيء».. الأيـام الشـاقة للنسـاء في معامـل طابـوق النهـروان، عـلى الرابـط: https://is.gd/WaoAgg

22- مخرجـة عراقيـة توثـق معانـاة النسـاء في عملهـن بمعامـل الطابـوق، عـلى الرابـط: https://is.gd/jlhPhR

23- البيئـة تعلـن إلـزام معامـل الطابـوق في النهـروان باسـتخدام الغـاز بـدل الوقـود الثقيـل، عـلى الرابط: https://is.gd/rdY7DR

24- معسكر الرشيد.. العيش في مكب النفايات، على الرابط: https://is.gd/uSeumr

25- في بغداد أكثر من 213 مقلع طمر صحي، على الرابط: https://is.gd/jSKueK.

«5 آلاف م2»، وتتركز فيها -إضافة إلى النهروان- أغلب مراكز الطمر الصحي ومواقع حرق النفايات.

ففي العاصمة وحدها يُنتج يومياً ما يقارب 10 آلاف طن [26] من النفايات، ويجد اغلبها طريقه إلى تلك المناطق من خلال الناقلات التابعة لأمانة بغداد. علما بأن هذا الرقم قابل للزيادة بشكل مخيف في ظل تصاعد معدلات الزيادة السكانية في العاصمة. وقد دفعت تلك الحقائق الحكومة العراقية للبحث عن شراكات [27] تستثمر عبرها النفايات في توليد الطاقة الكهربائية، ورغم أن ذلك يعد مشروعاً واعداً، إلا أن افتتاحه، الذي كان مفترضاً في شهر أغسطس من هذا العام، لم يفضِ حتى الآن إلى عمل حقيقي على أرض الواقع، مما يثير الشكوك بمصداقية العمل وسرعة الاستجابة للتحدي الذي يفرضه تلوث الهواء على سكان العاصمة.

تعثر السياسات البيئية

هنالك حالة من التعارض بين السياسات والتشريعات البيئية التي تم إقرارها في عام 2009، فقد تم تعطيل مخرجات «مجلس حماية وتحسين البيئة» لسنوات طويلة

26- السوداني: حجم النفايات في بغداد يصل الى 10 الاف طن يومياً، على الرابط: https://is.gd/B7h7M3

27- تحويل نفايات العراق إلى كهرباء صار حقيقة.. الشركة الصينية ستباشر في بغداد، على الرابط: https://964media.com/496644/

خاصة بعد أن تم تحويل وزارة البيئة إلى وزارة هامشية[28] في نظام المحاصصة الحزبية الذي لا يعترف بالتحديات البيئية كأولوية حقيقية في سلم اهتماماته.

كما أن الممارسات[29] الحكومية والمجتمعية العامة لم تأخذ بالحسبان التأكيدات الخاصة بحماية هواء المدن من التلوث. وهي حالة أخرى مضافة تثبت أن الكثير من المفردات التي أقرت في البرلمان لازالت مجرد حبر على ورق ولم يتم أعداد الوزارات والنشاطات العامة لتقبل محتواها، ناهيك عن غياب التثقيف الحقيقي بهذه البنود. لذلك، هناك إشارات إلى أن الحكومة العراقية ستضطر للعمل -تحت ضغط التحولات البيئية- على تغيير كثير من المفردات التي تخص القرارات البيئية[30]، لاسيما أن هذا التلميح جاء بعد التأكيد على وجود فجوات قانونية تحول دون تحقيق هدف الحد من النشاطات الملوثة.

دائماً ما تعمل الحكومات العراقية بصيغة ردود الأفعال التي تأخذ هي الأخرى صفة «الوقتية». على سبيل المثال، أدت الأزمة البيئية الأخيرة إلى تفعيل الظهور الإعلامي[31] لقوى السلطة والجهات المعنية بملف البيئة، دون أن نلحظ لاحقاً أي تطبيق حقيقي لبنود

28- التعبئة من أجل البيئة في العراق، على الرابط: https://is.gd/LnhFSe
29- التلوث ينهش العراق.. قوانين بلا أنياب وغرامات بلا جدوى، على الرابط: https://is.gd/UcSrU7
30- تعديل قانون البيئة كمدخل للعدالة المناخية، على الرابط: https://is.gd/jrdbka
31- اجتماع برئاسة السوداني يحدد 10 أسباب للتلوث في بغداد والمحافظات ويشدد على وضع حلول قصيرة وطويلة الأمد لمعالجته، على الرابط https://is.gd/q8QSBI

هـذه اللقـاءات ومـا يتمخـض عنهـا مـن توصيـات. يضـاف لذلـك، عـدم وجـود مكاشـفة حقيقيـة للمجتمـع حـول طبيعـة التقاريـر الأسـبوعية الـتي يفـترض أنهـا تقـدم مـن قبـل هـذه الجهـات إلى رئيـس الـوزراء لمتابعـة الوضـع البيـئي العـام، ووضـع التلـوث الهوائـي في العاصمـة بشـكل خـاص. تقـود هـذه المـؤشرات إلى فقـدان الثقـة بجديـة هـذه الأطـراف فـي التوصـل إلى اسـتراتيجيات حقيقية-مسـتدامة مبنيـة عـلى قاعـدة معلومـات دقيقـة لتشـخيص الخلـل والأضرار الناجمـة عنـه، ومـن ثـم تحديـد آليـات التعاطـي معـه.

احـد الأدلـة المهمـة الـتي تثبـت ذلـك يكمـن في عـدم متابعـة وتنفيـذ قـرار حكومـي[32] أوصى بنقـل معامـل الطابـوق إلى مناطـق جديـدة. علمـا بـأن الحديـث عـن إعـادة التوزيـع[33] الجغرافـي لهـذه المعامـل لا يعـني بالـضرورة أنهـاء الأزمـة مـن جذورهـا، بقـدر مـا يعـني التفكـير بآليـة توزيـع الـضرر وأبعـاده عـن المجمعـات السـكنية في العاصمـة. حيـث بـدأت بعضهـا، مثـلا بسـماية[34] القريبـة مـن النهـروان، تفقـد قدرتهـا عـلى جـذب المشـترين نتيجـة الشـكوى المسـتمرة مـن تعـرض السـكان إلى أضرار تلـوث الهـواء. في هـذا السـياق أيضـاً، تفيـد بعـض التقاريـر بـأن عمليـات حـرق النفايـات في معسـكر الرشـيد عـادت مـن جديـد بعـد مـضي ثلاثـة أيـام فقـط عـلى تصريـح رئيـس الـوزراء بإيقـاف تلـك العمليـات.

32- السـوداني يوجـه بإيجـاد مناطـق بديلـة لمعامـل الطابـوق خـارج المـدن، عـلى الرابـط: https://is.gd/TRMrOL

33- الصناعـة تعلـن عـن المناطـق المقـرر نقـل معامـل الطابـوق إليهـا، عـلى الرابـط: https://is.gd/A1i6sj

34- تحذيـر مـن كارثـة انسـانية.. هـواء مجمـع «بسـماية» الاعـلى تلوثـا بـين مناطـق العـراق، عـلى الرابط: https://is.gd/n9ch9Q

تواجه القوة الماسكة للأرض هناك تعقيدات ميدانية أكبر من قدرتها الفعلية على ضمان عدم استغلال هذا المعسكر في جمع وحرق النفايات بطريقة عشوائية. وهنالك اتهامات[35] تطال بعض الأشخاص التابعين لهذه القوة بتلقي الرشاوي، مما يقود إلى خلق نوع من العلاقة الزبائنية بين الأطراف المستفيدة، التي لا تعنيها البيئة وسلامتها بأي شكل من الأشكال. أيضاً، هنالك تداخل غريب في المسؤولية حول إدارة ملف البيئة مع أطراف أخرى[36] لاسيما هيئة النزاهة وشرطة حماية البيئة. يسهم هذا التعقيد في خلق فجوات مهمة تعرف الأطراف الأخرى كيفية الاستفادة منها في إدامة عملها هناك، حيث يلعب التخلص بهذه الطرق الرخيصة دوراً في تعزيز الكلفة الصفرية التي يفترض أن تتحملها من جانب، كما أنه يسهم في تعزيز اقتصاد الأعمال غير الشرعية المضرة بالبيئة من جانب آخر. بالنهاية، يرسخ ذلك الاتهامات التي توجه إلى الجهات الحكومية بأن إجراءاتها الأمنية لا تشكل حلاً مستداما لأزمة التلوث ومدخلاته الأساسية في العاصمة.

الاستثمار يهدد بيئة العاصمة

يعتقد أغلب الساكنين في المناطق، التي تصنف على أنها مراكز لإنتاج التلوث في بغداد، بأن هنالك سياسات مخطط لها بعناية

35- إغلاق العشرات من مصادر التلوث في بغداد... هل انتهت الأزمة؟، على الرابط: https://is.gd/ZL78dy

36- إغلاق منافذ معسكر الرشيد والنزاهة تتحرّى أسباب الغمامة الدخانية، على الرابط: https://is.gd/P30l46

من أجل الإمعان في عمليات تشتيتهم بالقوة لأغراض استثمارية لا علاقة لها على الإطلاق بهدف حماية البيئة. لذلك، يلجؤون إلى رفع لافتات وصور[37] «السيد مقتدى الصدر» في العديد من مسيراتهم الاحتجاجية، حيث يرون فيه داعماً ممكنا في مواجهة مشاريع الحكومة والمتحالفين معها.

لقد تركزت عمليات الغلق الأخيرة للنشاطات المسببة لتلوث الهواء في مناطق[38] شرق وجنوب شرق بغداد، والتي تتصف بكثافتها السكانية، ارتفاع معدلات البطالة، وتمدد العشيرة[39] على حساب الدولة. فقد صعد الناس هناك من حدة خطاباتهم التي هددت[40] في إحدى المرات «بقطع الطريق الذي يربط العاصمة ببقية المحافظات الجنوبية». وهي أحداث تكررت في مناسبات[41] ومناطق مختلفة وتسببت في حرج واضح للسلطة، التي عادة ما كانت تجد نفسها أمام خيار التصادم مع المواطنين أو الاستماع لمطالبهم، والتي تأتي بعيداً عن تفاهمات متفق عليها بخصوص البيئة وحمايتها.

37- بصور الصدر والمكاوير.. تجدد تظاهرات العشائر في بغداد (فيديو)، على الرابط: https://is.gd/uyy3tT
38- غلق معامل المعادن.. حملة لضبط المخالفات البيئية، على الرابط: https://is.gd/2mz5Hb
39- بصور الصدر، مصدر سبق ذكره.
40- اهالي حي النصر والمعامل ببغداد ينظمون اعتصاما احتجاجا على تردي الخدمات، على الرابط: https://is.gd/8jYWJP
41- المصدر نفسه.

في مثل هذه المواقف، ليس مستغرباً أن يوجه مواطنو تلك المناطق الاتهامات[42] إلى بعض الجهات المتنفذة التي تعمل تحت مظلة الفصائل العراقية، وتشير إلى أن الأخيرة لا تحترم قرارات الدولة بخصوص عدم حرق النفايات، لاسيما في معسكر الرشيد. يعتقد المواطنون هناك بأن هذا السلوك يشكل عملاً ممنهجاً لإجبارهم على مغادرة المناطق المحيطة بالمعسكر لرغبة هذه الجهات في تحويلها إلى مراكز استثمارية.

لم تكن تلك الاتهامات تنطلق من فراغ، فقد أقدمت هيئة الاستثمار في عام 2024 على إعطاء إحدى الشركات «شركة إمكانات»[43]، التي يملكها أحد الشخصيات المتحالفة مع احد النافذين، فرصة العقد الاستثماري لتحويل معسكر الرشيد إلى مساحة تنموية متعددة الابعاد[44]، وهو ما دفع بعض أعضاء مجلس النواب إلى إثارة الشكوك حول هذا المشروع واصفة الشركة بأنها مرتبطة بـ «حيتان كبيرة»[45]، ما قاد لاحقاً إلى إلغاء[46] فكرة الجانب السكني والتركيز فقط على إحياء المساحات الخضراء. بالنهاية، لم يسهم ذلك بتراجع مخاوف المواطنين من

42- أحد سكنة معسكر الرشيد لـ»الأولى»: جهات متنفذة وراء إشعال حرائق في معسكر الرشيد...على الرابط: https://is.gd/dGiTDQ

43- بالوثيقة.. الحكومة تمنح شركة «إمكانات» التابعة ليزن مشعان الجبوري أرضاً للاستثمار باستثناء من شروط المنافسة والإعلان والإجازة، على الرابط: https://is.gd/stbN9j

44- مشروع تطوير معسكر الرشيد، على الرابط: https://is.gd/GpvLE8

45- النزاهة البرلمانية تتحرك ضد هيئة الاستثمار بعد عقود مع «شركة تابعة لحيتان»، على الرابط: https://is.gd/TiQdxH

46- إلغاء المشروع السكني في معسكر الرشيد واستبداله بغابات سياحية، على الرابط: https://964media.com/426336/

الالتفاف مستقبلاً على هذا النوع من القرارات، خصوصاً إذا ما تغيرت الحكومة وجاءت أخرى أكثر استجابة لرغبات المستثمرين والجهات الداعمة لهم.

يعتقد كثير من المعلقين أن هنالك نوعاً من المقايضة التي يمكن أن تحصل في هذا الموضوع. الإبقاء على معسكر الرشيد بعنوان «غابات بغداد» قد يرافقه التخلي عن حديقة الزوراء [47]، التي تعاني اليوم من إهمال كبير. وعلى الرغم من نفي [48] أمانة بغداد، فإن هناك أصوات تتعالى مؤكدة أن المناطق القريبة من هذه الحديقة تحولت إلى مساحة تمتلئ بالمجمعات السكنية المربحة للمستثمرين والجهات التي يرتبطون بها، وأن هذا المشهد سيتمدد لاحقاً إلى هذه الحديقة، وذلك بحكم موقعها المهم في قلب العاصمة وأحيائها الثرية.

كما تجدر الإشارة إلى أن غياب التخطيط الحضري للعاصمة أسهم في زيادة العشوائيات [49]، التي يتم تصنيف الاستعمالات التي تجري فيها بأنها جزء من مسببات التلوث. لذلك يخشى السكان هناك بأن تؤدي قرارات بعض الوزارات إلى تهجيرهم من منازلهم، وقد تزامن ذلك أيضاً مع الحديث الحكومي عن مشروع إنشاء مدينة «الفرسان» [50] السكنية لمنتسبي وزارة الدفاع في أراضي النهروان.

47- الزوراء... متنفس عائلات بغداد، على الرابط: https://is.gd/dUVtAg
48- أمانة بغداد تتوعد مروجي إشاعة تحويل الزوراء إلى مجمعات سكنية، على الرابط: https://964media.com/485722/
49- بغداد أخرى يصنعها المعْدَمون، على الرابط: https://is.gd/doHyoQ
50 بنگين ريكاني يناقش تفاصيل مدينة الفرسان السكنية لمنتسبي الدفاع، على الرابط: https://is.gd/ZZEUNa

الخاتمة

على الرغم من أن حادثة تلوث الهواء في بغداد وُصفت من قبل البعض بأنها «حالة وقتية» تزامنت مع ظروف طقسية عابرة، فإنها كشفت كثيراً من الأمور التي لا يمكن السكوت عنها، والتي يمكن اختزالها بمقولة تعبر عن حقيقة مؤلمة: «إن هواء العاصمة لم يعد آمناً من الناحية الصحية».

إن عدم قدرة الحكومة على إنتاج تحول اقتصادي يرافقه اهتمام ثقافي–مجتمعي بفكرة حماية البيئة يجعلنا أمام مشهد مستقبلي قاتم، فمن المتوقع في مثل هذه الحالة أن تتوسع جغرافية التلوث في العاصمة لتضم نطاقات جديدة، وسيتزامن ذلك كله مع الزيادة السريعة في أعداد السكان وتكدسهم بشكل غير متوازن في بغداد، مما سيخلق مزيداً من الأزمات الاجتماعية والسياسية.

عادة ما تتم الإشارة إلى أن نظافة البيئة وسلامتها تعبر بالضرورة عن وجود نظام ديمقراطي[51] حقيقي يمارس السياسة من منطلق العدالة الاجتماعية، وأن غياب ذلك سيقود إلى تنامي دور المعارضة، التي سيضاف لها بعد جديد من خلال «النضال البيئي» للتحرر من الشعور بالظلم والاستبعاد الذي تمارسه السلطات المختلفة.

51- Democratic Representation, Environmental Justice and Future People, https://is.gd/Lbb6OT

ما لم تبدأ القوى العراقية بالإيمان بهذه الفكرة لخلق حالة من المواءمة بين البيئة والقرار الحكومي بكافة أبعاده، فإن تصاعد التحديات البيئية المتشعبة سيكون كفيلاً بخلق مزيد من العقبات أمام هذا النظام، الذي يعاني في الأساس من مشاكل عديدة.

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org